أصنعه في قراءة البخاري في الجامع. وكان يحضر تلك القراءة جماعة من العلماء ويجتمع من العوام عالم لا يحصون، فكنت في بعض الأوقات أفسر الألفاظ الحديثية بما يفهم أولئك العوام الحاضرون، فأردت أن أقول له إنه يحضر جماعة لا يفهمون بعض الألفاظ العربية، فبادر وقال قبل أن أتكلم: قد علمت أنه يقرأ عليك جماعة وفيهم عامة، ولكن دقق الإسناد وتأنق في تفسير كلام رسول اللَّه ﷺ. ثم سألته عند ذلك عن أهل الحديث ما حالهم في الآخرة فقال: «**بلغوا بحديثهم الجنة أو بلغوا بحديثهم بين يدي الرَّحمن، الشكّ منّي، ثم بكى بكاء عالياً وضمني إليه وفارقني**». فقصصت ذلك على بعض من له يد في التعبير، وسألته عن تأويل البكاء والضمّ فقال: «**لا بد أن يجري لك شيء مما جرى له من الامتحان**»، فوقع من ذلك بعد تلك الرؤيا عجائب وغرائب كفى اللَّه شرّها. وتوفي رحمه اللَّه سنة ١١٨٢ اثنتين وثمانين ومائة وألف في يوم الثلاثاء ثالث شهر شعبان منها. ونظم بعضهم تاريخه فكان هكذا: مُحمَّد في جنان الخلد قد وصلا. ورثاه شعراء العصر وتأسفوا عليه. وله تلامذة نبلاء علماء مجتهدون، منهم شيخنا السيد العلَّامة عبد القادر بن أحمد، والقاضي العلَّامة أحمد بن مُحمَّد قَاطن، والقاضي العلَّامة أحمد بن صَالح بن أبي الرّجال، والسيد العلَّامة الحَسَن بن إسْحاق بن المهدي، والسيد العلَّامة مُحمَّد بن إسْحاق بن المهدي، وقد تقدمت تراجمهم، وغيرهم مما لا يحيط بهم الحصر. ووالده كان من الفضلاء الزاهدين في الدنيا الراغبين في العمل. وله عرفان تام وشعر جيد. ومات في ثالث شهر ذي الحجة سنة ١١٤٢ اثنتين وأربعين ومائة وألف. وكان ولده صاحب الترجمة إذ ذاك بشهارة.

## (٤١٩)

## (الإمام المؤيد باللَّه مُحمَّد ابن الإمام المُتوكِّل على اللَّه إسْمَاعيل ابن الإمام القاسِم بن مُحمَّد)[1]

ولد سنة ١٠٤٤ أربع وأربعين وألف تقريباً، وقرأ على علماء عصره في أنواع من العلم حتى فاق في كثير مِن المعارف العلمية. ثم لما مات الإمام المهدي أحمد بن الحَسَن في سنة (١٠٩٢) بُويع هذا بالخلافة، واجتمع عليه رؤساء اليمن إذ ذاك، وهم السيد عليّ بن المتوكل، والسيد مُحمَّد بن أحمد الذي صارت إليه الخلافة بعد صاحب الترجمة، والسيد ابن الحُسين بن الحَسن ابن الإمام القاسم، والسيد القاسِم بن المؤيد، والسيد علي بن المُتَوكّل صنو صاحب الترجمة، ولكن كانت البلاد الإمامية مقسمة بين هؤلاء المذكورين، ولم يكن لصاحب الترجمة إلّا الاسم والخطبة،

(١) ترجمته في: الأعلام: ٦/ ٣٧.

وكان من أولياء اللَّه، ومن أعدل الخلفاء، لم يسمع عنه الجور في شيء من أموره. وكان كثير العبادة كثير البكاء دائم الخشية للَّه لا يأكل إلّا من نذورٍ تصل إليه بعد أن يعلم أنها من جهة تحلّ له، ولا يتناول شيئاً من بيوت الأموال. ومجلسه معمور بالعلماء والصالحين وقراءة العلم وتلاوة القرآن، لا يزال رطب اللسان بذكر اللَّه على جميع حالته. وقد صار عدله في الرعية مثلاً مضروباً، وكان أهل عصره يكنونه فيقولون أبو عافية لأنه لا يضرّ أحداً منهم في مالٍ ولا بدن، بل قد يحتاج في بعض الأوقات لنائبة من نوائبه فيسأل أهل الثروة من التجار وأموالهم متوفرة أن يقرضوه فلا يفعلون لأنهم لا يخافون في الحال ولا في المستقبل. واستوطن هجرة معبر المشهورة، ومات ليلة الجمعة ثالث شهر جمادى الآخرة سنة ١٠٩٧ سبع وتسعين وألف، وصارت الخلافة بعده إلى مُحمَّد بن أحمد المهدي صاحب المواهب كما تقدم ذكر ذلك في ترجمته.

## (٤٢٠)

## (السيد مُحمَّد بن بَرَكات بن حَسَن بن عَجْلان الحَسَنيّ أمير مكة وابن أمرائها)[1]

ولد في رمضان سنة ٨٤٠ أربعين وثمانمائة بمكة، وأجاز له جماعة من الأعيان. ونشأ في كنف أبيه ثم سأل الأب إشراك ولده معه في الأمر، ففعل السلطان ذلك، فوصل المرسوم إلى مكة بذلك، ودعي له على زمزم كعادتهم، وكان غائباً باليمن. ولما وصل إليه الخبر بذلك عاد إلى مكة، وحُمدت سيرته، وتوجّه إلى بلاد الشرق غير مرة، وأكثر من زيارة القبر النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام، ومع زيارته يحسن إلى أهل المدينة. وكان كثير التفقد لأهل مكة لا سيّما الفقراء والغرباء. وأمن الناس في أيامه، وكثرت أمواله وأتباعه، وفاق أسلافه. وما زال أمره في نموٍّ، وأضيفت إليه سائر بلاد الحجاز ليستنيب من يختاره، ودُعي له على منبر مكة والمدينة. وكان يغزو إلى ديار من يخالفه فيحيط به. وكذا أطاعه صاحب جازان. وقد أثنى عليه السخاوي كثيراً لأنه كان معاصراً له، ووصفه بالعقل والفهم والتواضع وحسن الشكالة والمداومة على الجماعات والسكون وكفّ الأتباع عن الرعية وعدم الطمع في أموالهم بما لم يسمع بمثله في دولة من قبله. واستمر على ولايته حتى (مات) في الحادي والعشرين من محرم سنة ٩٠٣ ثلاث وتسعمائة، وخلف من الأولاد ذكوراً وإناثاً نحو الأربعين.

---

(١) ترجمته في: الأعلام: ٦/ ٥١.